قراءة في كتاب غي بيرفيليي Guy Pervillé "

"الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880-1962"

د.أحمد بن جابو..

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة.

يذكر المؤلف بأن الكتاب هو بمثابة عمل متواصل تم إنجازه في فترات مختلفة منذ سنة 1970 بسبب اهتمام المؤلف بحرب الجزائر في معرفة أسبابها ودوافعها الحقيقية من خلال تطور السكان المسلمين الجزائريين في عهد الاحتلال ،فأصبحت النخبة من الطلبة المفرنسين بمثابة الوسيط بين شعبها وبين فرنسا ،ويحدد المؤلف ثلاث صفات بارزة تميز بها الطلبة الجزائريون هي :- اعتقادهم المبادئ الديمقراطية بالوصاية ،فاعتقدوا بأن الديمقراطية لن تتحقق إلا بخضوع الجزائريين للوصاية خلال فترة زمنية معينة.

-إيمانهم بفضائل الفكر العلمي واعتقادهم بأن لهم رسالة يجب تأديتها

- تناول مفهوم الحداثة بطريقة ميكانيكية (تكوين مجتمع عصري بالاعتماد على الآليات التقنية).

ويذكر المؤلف هنا بأنه اعتمد على مصادر مختلفة من كتب ودوريات وصحف ومحتويات الأرشيف العمومي الفرنسي المرخص إلى غاية 1939 والمصادر الشفوية استجوب حوالي 60 شخصية كانوا فاعلين في الأحداث أو شهودا عليها من قدماء الطلبة الجزائريين غير أنه يعترف بقلة المصادر خاصة قبل سنة 1908،كما أنه يعترف بعدم إحاطته بجميع جوانب الموضوع على الرغم من المجهودات الكبيرة ويضيف هنا بأنه قدم مساهمة جديدة ومفيدة لتاريخ الجزائر وتاريخ فرنسا ويدعو غيره إلى مواصلة البحث في الموضوع .

فالكتاب يحتوي على ثلاثة أقسام كل قسم منه يتضمن ثلاثة فصول كما قدم له محمد حربي، تناول في القسم الاول نشأة الحركة الطلابية و تطورها في الجزائر إلى غاية 1954 في حدود 207صفحة.

وتناول في الفصل الاول الجانب الاحصائي للطلبة الذي يرى فيه المؤلف بأن عددهم غير مضبوط نظرا لإحصاء الطلبة المسلمين المسجلين في جامعة فرنسا الذين تم اعدادهم ضمن الطلبة الفرنسيين، حيث تناول فيه مراحل التمدرس فذكر بأن عدد الطلبة الجزائريين كان قليلا فيذكر بأن عددهم سنة 1954 قدر بحوالي 1200طالبا منهم 600 طالب في جامعة الجزائر و قدرت النسبة ب11 بالمئة من الطلبة في حين ان مجموع نسبة السكان المسلمين تمثل 89,0 بالمئة من مجموع السكان في الجزائر (1) .

ويشير هنا الى ما كتبه الجنرال دوماس حول انتشار التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الذي كان متطورا و بعد مرور قرن من الزمن عمت الامية في صفوف السكان الجزائريين فبلغت 90بالمئة سنة 1948 و 86,3 سنة 1954، وتابع المؤلف التطور العددي للطلبة الجزائريين في الجامعة الفرنسية و خلص الى مجموع قدر بحوالي 100 طالب سنة 1925، 200 طالب سنة 1935، و 500 طالب 1945، 1200 طالب سنة 1955،1954 و هذه الأعداد المتزايدة يرى المؤلف بانها قليلة بكيفية واضحة، كما انها قد تأثرت بأحداث الثورة ما بين 1954_1962 و هذه الأرقام لها دلالة واضحة في حرمان الجزائريين من التعليم الجامعي و حتى في مراحله الأولى، و هذا ما يبرز لنا الفرق بين الطالب المسلم و الطالب الأوروبي، هذا الى جانب حرمان البنت من التعليم فهي تعادل بنتا واحدة لكل اربعة ذكور وهذا الحرمان أو الاقصاء للابن الجزائري المسلم كان يتم في بداية النظام التربوي و عبر مراحله المختلفة إضافة الى التمييز بين أبناء الجزائريين فأبناء الطبقة البرجوازية و الموالين لها هم المحظوظون و المسموح لهم بمواصلة الدراسة في حين تحرم

الطبقتين الفقيرة و المتوسطة حتى في المراحل التعليمية الاولى. أما بالنسبة للغة العربية فتعتبر لغة أجنبية في نظر التربويين الفرنسيين و خاصة منها اللغة العربية الفصحى، فأصبح الوجيه يتم بلغة التعامل (الدارجة) التي ينبغي تشجيعها الامر الذي أدى الى ضرب الهوية الوطنية و الثقافة الجزائرية، وكل من يريد المحافظة على القيم الحضارية عليه بالتوجه نحو معاهد او مراكز الدراسات العربية و الاسلامية في شمال افريقيا أو المشرق العربي و هذا ما قامت من أجله جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تأسيسها سنة 1931 وما حددته في برنامجها التعليمي فقدر عدد التلاميذ بمدارسها سنة 1951 ب 7000 تلميذ و عدد طلبتها بالزيتونة ب 1000طالب، 120 طالبا بجامعة القرويين و 150طالبا بجامع الازهر و عدد اخر في سوريا و العراق و غيرهما من بلدان المشرق العربي، وبهذا يرى المؤلف بأن تشكلت فئتان من الطلبة الجزائريين لم تتفاهما كانت الهيمنة فيها للغة الفرنسية على التعليم.

أما الفصل الثاني فتناول فيه المؤلف الجوانب السوسيولوجية و ذلك بالبحث في الاصول الاجتماعية للطلبة فكانوا من الاثرياء و المدعومين من الادارة الاستعمارية فلم يكن في وسع ابن الاجير اليومي او ابن الخماس الالتحاق بالجامعة، وهذا ما أكده فرحات عباس " معظمنا ناس فقراء جئنا من الدواوير من عائلات بسيطة للحصول على شهادة البكالوريا و لم نكن ندري كيف السبيل اليها..." (2) وهذا ما ينعكس على الظروف المادية و الثقافية في الدراسة، فكانت فرنسا تجازي خدامها من القياد و الأغوات و العساكر و أعوان القضاء و رجال الدين و أعوان الصحة بمنحة الدراسة لأبنائهم ما بين (1904- 1914) و إلى غاية 1918، فكان الهدف هو تكوين ضباط القناصة من الأهالي، و هذا ما أبداه فرحات عباس و هو ابن قايد في 1927 هو أن التعليم الثانوي لا يحظى به سوى أقلية من ذوي الثراء أو ممن

حصلوا على منحة من الحكومة العامة (3)، و كان الحافز الاجتماعي له دوره في السعي للدراسة خاصة أبناء الطبقة المتوسطة التي تسعى إلى تحسين وضعيتها العائلية في الحصول على وظيفة إدارية أو وظيفة عمومية في قطاع العدالة، التي تتوفر على الوظائف الحرة للطلبة الأهالي، كما كانت فرص التوظيف في القطاع الطبي و الصيدلاني متوفرة للطلبة المسلمين، أما في نظر الحاكم العام جونار قيري بأن المدرسة في فرنسا تمثل أهمية للنظام الجمهوري أما في الجزائر فهي تمثل ركيزة للسيطرة و الرغبة في خدمة فرنسا.

أما المهن الحرة فينظر إليها بالتحرر من ضغوط الإدارة و تسلط أرباب العمل الفرنسيين، و هكذا عاش الطلبة ظروفا صعبة في حياتهم الدراسية أو بعد تخرجهم، فتشكلت منظمات طلابية تدافع عن حقوقهم كجمعية التعاون و المطالبة بالحقوق سنة 1927 بباريس من الطلبة المسلمين من البلدان المغاربية الثلاث (جمعية الطلبة الشمال الإفريقيين) و في سنة 1930 أسس الطلبة الجزائريون جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين بفرنسا، كما تأسست في الجزائر سنة 1947 بمدينة الجزائر (جمعية أحباب الطالب) و غيرها من الجمعيات، و هذا كله من أجل المطالبة بالحقوق و الوضعيات الصعبة التي كان يعيشها الطالب الجزائري في ظل السيطرة و الهيمنة للطالب الفرنسي سواء في جامعة الجزائر أو في الجامعات الفرنسية في فرنسا، و يعرض المؤلف هنا بالتحليل واجبات الطالب الجزائري تجاه عائلته و شعبه و تطور الأحداث في الجزائر المستعمرة، كما أنه كان مدركا لأهمية العلم و الثقافة في التحرر و العيش الكريم، و طلب العلم واجب و لو كان في الصين و هذا ما نادى به فرحات عباس حين قال: "هؤلاء الشباب الذين لا تولهم الجامعة سوى بعض التعاطف المتعالي هم أبناء الشعب الجزائري فسوف يضحون من أجله و يخدمونه بكل ما أوتوا من مواهب..." (4).

أما الفصل الثالث الذي ركّز فيه المؤلف على الجانب السياسي للطالب الجزائري و دور حاملي الشهادات الجامعية خاصة ما بين 1908- 1930، و هنا يشير الكاتب بأن المثقفين المسلمين قد تعلموا من أساتذتهم الفرنسيين حرية الفكر و ما حققته فرنسا من إنجاز إيجابي غير أنهم يأسفون على النقائص الموجودة، كما أن المثقفين المسلمين بعد اختيارهم الاتجاه الوطني الجزائري فإنهم لم يقطعوا الأمل المحتمل مع فرنسا التي تعرفوا عليها في قراءاتهم المختلفة معتقدين بكل سذاجة أن أملهم يتحقق في فرنسا على الرغم من وجود ثنائية فرنسية، فرنسا الاستعمارية المغتصبة و فرنسا الجمهورية الحرة (فرنسا الحقيقية) كما أن أحداث ثورة التحرير ما بين 1954- 1962 جعلت الشباب الجزائري أمام موقفين متعارضين لسياسة شرع فيها منذ بداية الاحتلال إلى غاية 1944، باسم سياسة الادماج (5) ص 126، وهنا يشير المؤلف إلى سياسة الادماج التي تهدف إلى توسيع مساحة فرنسا الترابية و مضاعفة ثرواتها و سكانها، و هذا الأخير يضمن لها ديمومة الجزائر الفرنسية، غير أن سياستها المتناقضة تجاه الأهالي بقيت مستمرة حتى بعد صدور إلغاء قانون الأهالي سنة 1944 الأمر الذي أدى إلى اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954.

أما عن الأدوار السياسية التي لعبها الطلبة المثقفون فهي الانخراط في الحرب العالمية الأولى بأعداد مقبولة و مطالبتهم في الانخراط السياسي في المجالس المحلية غير أن سلطات الاحتلال كانت تهدف من مشاركتهم تثبيت السياسة الفرنسية في الجزائر وأن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تعبر عن رأي الأغلبية تؤكد بأن الأمة الجزائرية موجودة بشخصيتها و ثقافتها المتميزة التي تمنعها من أن يكون الإنسان الجزائري فرنسيا بانتمائه و ثقافته، و بذلك انكشفت الحقائق و الابعاد الاستعمارية بانطلاق الحرب العالمية

الثانية و ما تلاها من أحداث فأصبح لدى المثقفين إما المسايرة أو الاستقالة و العودة إلى رأي الأغلبية الجزائرية التي أصبحت تنادي بالاستقلال و الحرية.

و بهذا بأن حركة الطلبة قد عرفت تطورا منذ نشأتها سنة 1908 من تأسيس الجمعيات و تسييس الحركة الطلابية ما بين 1931- 1942 ثم النشاطات السياسية للطلبة ما بين 1943- 1954، لكن الملاحظات التي وجهتها إلى الطلبة هي الأنانية واللامبالاة و الاغتراب التي تبعد المثقفين عن شعبهم، لكن حركة الطلبة بالعودة إلى التنظيمات و الحركات النقابية لتعبئة معظم الطلبة الجزائريين و الخضوع للعمل الثوري شكل ذلك العودة للأصل والخضوع لإرادة الشعب الجزائري .

و في القسم الثاني الذي خصصه المؤلف للطلبة الجزائريين و الثورة التحريرية(1954- 1955) فيستدل و يعتبر الثورة مدرسة تنوعت فيها مشاركة الطلبة، فقسمه إلى ثلاثة فصول.

تناول في الفصل الرابع منه التزام الطلبة و مشاركتهم في حرب التحرير وهذا أمر لابد منه و لا يتطلب الامر الا البحث عن طريق المساهمة كأفراد و تنظيمات، فكان الالتحاق بصورة فردية بجبهة و جيش التحرير الوطني.

و في سنة 1955 أسس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين و انعقد مؤتمره التأسيسي في جويلية 1955 حدد فيه اهدافه التي كانت من وحي اوضاع الطلبة المسلمين و اوضاع الشبيبة الجزائرية عموما فكان النداء هو النضال في المجال المهني و التعاون مع مختلف الجمعيات الطلابية المحلية، و الدعوة الى تعليم اللغة العربية لجميع ابناء الجزائر وفي كل المراحل و المناطق دون تمييز، وهذا من واجبنا كنخبة محظوظة التصدي والعمل في كل وقت من أجل ضمان التمدرس لكل اطفال الجزائر و انتزاع حقهم في التعليم و التربية، و هذه المطالب الثلاثة تستلزم نضالا سياسيا توجيهيا يفتح آفاقا

جديدة للشبيبة الجزائرية و هذا النضال يستلزم مناهضة القمع خاصة في ظل تطور أحداث حرب التحرير و خاصة بعد هجومات 20أوت1955 و ما ترتب عنها من اعمال القمع الأمر الذي زاد من التزام الطلبة و انخراطهم في ثورة وجبهة التحرير الوطني، فكان التعبير الحقيقي و الفعلي بالإضراب الذي شمل جميع الفروع (ا.ع.ط.م.ج) لمخاطبة الضمير الفرنسي و ما آلت اليه الأوضاع بالجزائر، تلاه ذلك التحاق فئة من الطلبة بالعمل السري ثم الالتحاق بالثورة في الجبال.

و في الفصل الخامس تعرض المؤلف إلى انضواء الحركة الطلابية تحت لواء جبهة التحرير الوطني في ماي 1956 في مدينة الجزائر حيث لعب فيها الطلبة في الثانويات دورا أساسيا في تجنيد الشباب، في حين أن انضمام الطلبة إلى جبهة التحرير في فرنسا جاء متأخرا ثم أخذ التنظيم الطلابي يتطور بفضل العمل النضالي السري الذي يدعو إلى التجنيد في الثورة، فكان نداء 19 ماي 1956 للالتحاق بالثورة في الجبال للطلبة الثانويين و الجامعيين و حملة الشهادات فكلفوا بالأعمال الصحية و السياسية و الإدارية و مصالح الاتصال و المخابرات و الاستشهاد في سبيل الوطن، و هنا التحمت علاقة الطلبة بالشعب في المداشر و القرى و زاد الإحساس و الشعور و معايشة الأحداث في الميدان فتعمقت اللحمة بين الشعب و إطاراته الثورية، كما كانت العلاقة أيضا متميزة مع الثوار في الجبال بين الشكوك و الاطمئنان، و هذا ما حدث خاصة في الولايتين الثالثة و الرابعة (قضية الزرق)، كما تعرض الطلبة للأسر و السجن فكان نضال آخر من المقاومة و العمل داخل السجون وهنا يؤكد المؤلف ببعض الشهادات التي ترى بأن الشعب كان يحيا في السجن بنشيده الوطني و دقيقة الصمت تخليدا لشهداء الجزائر.

كما كانت العودة إلى الدراسة بقرار من المكتب الإداري ل (أ. ع. ط. م. ج) المنعقد في باريس 21، 22 سبتمبر 1957 برفع الإضراب و العودة إلى الدراسة

و الامتحانات للدخول المدرسي 1957- 1958 باستثناء جامعة الجزائر نظرا للذهنية الاستعمارية الموجودة بها، غير أن قرار الرجوع هذا فسّرته سلطات الاحتلال بالهزيمة، و روجت له وسائل الاعلام الفرنسية و ردّت عليها جريدة المجاهدة بأن عواقب الإضراب باقية و مستمرة و أن المهام المستقبلية لرواد الثورة ينبغي الاستعداد لها (6). ففي فرنسا عاد الطلبة إلى الدراسة و كان عددهم أكبر من جامعة الجزائر التي سجل بها حوالي 250 طالبا للدخول الجامعي 1957- 1958 ثم تطور العدد إلى 814 طالبا في الدخول الجامعي 1959- 1960 و ذلك حسب الإحصاءات الفرنسية.

كما عاد النشاط الطلابي الدبلوماسي و النقابي لخدمة القضية الجزائرية، ففي شهر أفريل 1958 التقت وفود طلابية مكونة من 22 اتحاديا وطنيا منخرطا في اللجنة الدولية للطلبة صرّحت في بيانها بأن التفاوض السلمي هو السبيل الوحيد لحل المشاكل المطروحة للطلاب الجزائريين، كما طلبت الدعم المادي و المعنوي للطلبة الجزائريين (7).

و كان الطلبة بمثابة مدرسة لتكوين إطارات الحركة الوطنية فتجنّدوا في العمل السياسي بجبهة التحرير الوطني و انخرطوا في الحكومة المؤقتة، غير أن انخراطهم في صفوف جيش التحرير الوطني لم يكن معروفا بسبب السرية العسكرية، و كان الطلبة في ارتقاء سريع في المصالح الصحية و الإدارية و العلاقات و الاستخبارات و مرشحين لإظهار كفاءاتهم العسكرية إذ تمكنوا من الوصول إلى تولي المسؤوليات، و هنا يؤكد المؤلف على المشاركة الطلابية في أحداث الثورة خاصة بعد الإضراب العام سنة 1956، و الاحتياجات الملحة التي تتوفر عليها الكفاءات المثقفة في جميع الميادين.

و في القسم الثالث تناول فيه المؤلف إيديولوجية الطلبة المسلمين في الفترة ما بين 1908- 1962، استهلها بمقولة فرحات عباس (صفحة 381) التي حددّ فيها الاختلاف بين الطلبة الجزائريين و الطلبة الفرنسيين و تطور

الإيديولوجية بين القطيعة و التواصل (1936- 1943) و التي حدثت في 1956، و هنا يذكر المؤلف بأن الطلبة الجزائريين ذوي التكوين الفرنسي منذ أن أعلنوا مواقفهم سنة 1908 اتهموا بالنفاق من طرف أعدائهم الفرنسيين، كما واجههم خطر القومية الإسلامية، كما أشار المؤلف إلى ثلاث إيديولوجيات متتابعة ميزت دعاة الاندماج و هي:

– الاندماج قبل 1919.

– الإيديولوجية الفرنسية- الإسلامية في مختلف أشكالها ما بين (1919- 1942).

– الوطنية الجزائرية ابتداء من سنة 1942.

و لم تتمكن أية إيديولوجية من إقصاء الإيديولوجيات الأخرى، فكان التنافس حادّا بينها جميعا إلى غاية استقلال الجزائر، فالخيار الاندماجي كانت تجاهر به فئة الطلبة المسلمين في الجامعات الفرنسية، فأصول الحركة الاندماجية كما يذكر المؤلف تعود إلى المدارس الفرنسية التي كانت تقدّم لأطفال الأهالي صورة باهرة ومغرية عن فرنسا كما قال مدير المدرسة العليا للمعلمين في بوزريعة سنة 1908 (بول بيرنار- Paul Bernard) : " أن يأخذ الأهالي معلومات حول عظمة فرنسا و قوتها العسكرية و ثرائها فأوضاعنا تكون أشد تثبيتا إذا اقتنع الأهالي بأن الفرنسيين أقوياء و كرماء..." (8) و لخّص قوله "أثبتت مدرسة الأهالي فعاليتها الرائعة لأنها أداة من أدوات السلطة و وسيلة من وسائل التأثير"، كما أكّد مالك حداد بأن الغاية من المدرسة الفرنسية في الجزائر هي طمس الشخصية و إحكام الهيمنة، و أن التعليم يعتبر آلة كولونيالية ساهم في محو ما تبقى من ألوان و أصالة (9)، و خير ما يراه الكاتب من دليل للحركة الاندماجية من الطلبة الجزائريين ما يحتويه كتاب بن حبيلس حول "الجزائر الفرنسية من منظور أحد الأهالي"

المنشور سنة 1914 الذي يعتبر أحسن وثيقة لترجمة الأيديولوجية الاندماجية يمثل نموذجا صادقا لما أنتجته الثقافة الفرنسية من مدح و اعتراف و تنكر للماضي الحضاري للجزائر (10)، كما كان هناك من المثقفين الجزائريين ذوي الايديولوجية الإسلامية التي مزج أصحابها بين الموروث الحضاري و الثقافة الفرنسية، و هؤلاء استعملوا شعارات مثل الوحدة أو التعاون الفرنكو- إسلامي و كان ذلك قبل 1914.

و استمر هذا التجاذب الإيديولوجي بين دعاة الاندماج و الاستقلال بعد 1919 إلى غاية 1939 و اشتدّت حدّة الصراع، ثم تراجع هذا التجاذب خاصة بعد صدور البيان سنة 1943 إلى أن انتهى هذا الاختلاف عقب اندلاع حرب التحرير ما بين 1954- 1962 فتطور الأحداث أدى إلى تفوق كفة الاتجاه الوطني الذي تشكلت منه إيديولوجية اندمجت فيها الشخصية التقليدية للشعب المسلم الجزائري كخميرة للحداثة.

ثم تناول في الفصل الثامن التكوين السياسي للطفل الجزائري الذي التحق بالجامعة الفرنسية بعد سنة 1945، و أخذ يتبلور لديه مفهوم الرجل السياسي فاكتشف الاختلاف بين وسطه العائلي و الوسط المدرسي الغريب و المتناقض و أن الفرنسيين قوم أجانب و لا ينتمون إلى مجموعة المسلمين، فتكونت لديه فكرة الثورة ضد الجور و العنصرية اللتين كان يلاحظهما و يعيشهما في حياته المدرسية، و حرمانه من حقه في الازدهار و الحرية، فتطور وعي الطالب الجزائري المعادي للاستعمار و انكشفت حقائق و أهداف المعمرين لدى العديد من الطلبة، مثل فرحات عباس، و اقتنعوا بأن فرنسا تستهدف السيطرة و استغلال الشعب الجزائري.

و هكذا بدأ مفهوم الوطنية الجزائرية يتبلور فاصطدم بإلغاء و رفض المطالبة السلمية، فاستعمل القوة وفرض نفسه في ظل الأوضاع المتردية للأهالي، فنضال الوطنيين الذي واجهته سلطات القمع تنامى معه الغضب و

الكره الذي أدى إلى انفجار الثورة التي ازداد فيها القمع و الوحشية التي مسّ مختلف الشرائح الاجتماعية فأدّى ذلك كله إلى الوحدة في العمل و الكفاح السياسي والعسكري (514).

في الفصل التاسع طرح المؤلف سؤالا: ما هي فرنسا ؟ ولماذا رفض سيادتها على الجزائر؟ فاتخذ المثقفون الجزائريون موقفا معاديا للفرنسيين بالجزائر، و هنا يذكر الكاتب ما قاله أحد المسؤولين السياسيين في عام 1959 تجاه الفرنسيين يقول فيه: "غايتي أن أحطم عدوي نهائيا... و أطردهم من الجزائر..." كما يشير أيضا إلى فئة الطلبة المثقفين بأنهم لم يكونوا كلهم يحملون العداء لفرنسا المعنوية فكانت عبارات الود و التقدير لفرنسا متوفرة، كما يطرح المؤلف مفارقة بين الثورة ضد فرنسا و الود تجاهها من طرف المثقفين الفرنكوفونيين، وأنهم يرفضون الخلط بين الثقافة الفرنسية و السيادة الفرنسية، و يذكر منهم "مسلي فضيلة" و "زهرة ظريف" و "أحمد طالب الإبراهيمي" و غيرهم.

فزاد اهتمام الطلبة الجزائريين بحقهم في تعريف أنفسهم و أصولهم فأصبح تعريف الأمة الجزائرية بطريقة مخالفة للأمة الفرنسية، و هذا ما حدده علماء الإصلاح سنة 1931 في تعريف الأمة "الإسلام ديني، و العربية لغتي، و الجزائر وطني" و مجموعها يشكل الأمة الجزائرية، و فحص هذه العناصر الثلاثة و الدلالة التي يحملها كل عنصر منها، و هي الأمة و القومية و الوطن، فهي تمثل انتماءات تاريخية، ثم يشير الكاتب إلى مفهوم الشعبوية المعقد في الجزائر- حسب رأيه- فيري بأن الشعبوية سبقت الوطنية و رافقتها حتى الاستقلال فارتدت ثوب الاشتراكية، ثم يتعرض إلى الانتقال من الشعبوية إلى الوطنية، و من الوطنية الشعبوية إلى الاشتراكية، فتسببت الحرب في نقل أيديولوجية جبهة التحرير الوطني من الاتجاه الوطني الشعبوي إلى الخيار الاشتراكي الذي سايرته أيديولوجية الحركة الطلابية، و ذلك بأن

مبدأ تحرير التراب الوطني والثورة الاجتماعية والاقتصادية كل لا يتجزأ وأن الجماهير والعمال قوة مسيرة للثورة، و المثقفون و الطلبة يجب أن يخضعوا لقيادتها فكانت مساهمة الطلبة المناضلين في تطور أيديولوجية جبهة التحرير الوطني.

و في الخلاصة العامة يرى الكاتب بأن تطور الطلبة الجزائريين في الجامعة الفرنسية كان من ثلاثة جوانب أساسية (إحصائية –اجتماعية –سياسية) وأن عددهم ضبط في جامعة الجزائر، فقبل 1914 قدر بعدة عشرات ثم بلغ 150 طالبا سنة 1935 ليصل إلى 1000طالب سنة 1954 وهذه أعداد قليلة كما يتساءل عن الأصول الاجتماعية والأهداف التي كان يراها الطلبة وظروف معيشتهم أثناء الدراسة أسئلة ، يرى الكاتب بأنه لم يجد لها إجابات كافية، فالطلبة لم يكونوا من ذوي الطبقات المحظوظة وإنما كانوا من أبناء الموظفين من معلمين وأعوان الصحة والعساكر وقدماء تلاميذ المدارس والذين لهم منح مقابل سيرتهم الحسنة تجاه الإدارة الفرنسية وتكوينهم لم يسمح لهم بتولي مسؤوليات التسيير التي كانت حكرا على الفرنسيين فكانوا يختارون المهن الحرة (محامون ،موثقون أطباء ،صيادلة والوظائف العامة كالتعليم والإدارة) .

غير أن الطلبة يتحدثون عن أنفسهم بأنهم أبناء الفقراء في حين أن عامة الناس يصفونهم بأنهم أبناء طبقة محظوظة برجوازية أنانية منطوية على نفسها .

وبعد سنة 1919 قرر الطلبة الانضواء في جمعيات للتعاون والتبادل فدعوا قدماء الطلبة للتضامن في الدفاع عن شعبهم بالممارسة السياسية لإنقاذ الشعب الجزائري من الهيمنة الاستعمارية، فسايرت الحركة الطلابية الحقل السياسي منذ سنة 1930 ثم انخرطت فيه بعد ذلك في حزب الشعب الجزائري 1936 ،وفي بيان الشعب الجزائري سنة 1943 وفي حركات

انتصار الحريات الديمقراطية وبانطلاق حرب التحرير الوطنية انتظم الطلبة في الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في جويلية سنة 1955 فنددوا بالقمع ثم الانضمام إلى جبهة التحرير الوطني في ماي سنة 1956 بإعلانهم الإضراب عن الدروس والامتحانات والالتحاق بالجبال، ثم استأنفوا الدراسة في اكتوبر سنة 1957 في فرنسا وبعدها اتخاذ قرار حل (ا.ع. ط. م. ج) في فرنسا.

ويحدد المؤلف ثلاث إيديولوجيات : - أيديولوجيات عبر عنها بن حبيلس سنة 1914 وهي التماثل والمساواة بين المسلمين والفرنسيين ثم تلتها الأيديولوجية الفرنكو– إسلامية انطلاقا من سنة 1919 مثل رمزها فرحات عباس وهي المساواة بين الأفراد والحضارات والحق في الجنسية ،غير أنه ابتداء من سنة 1936 جاءت الحركة الوطنية الجزائرية ليبدأ التنافس بين التأثيرات الفرنسية والتأثيرات الناجمة عن الوسط المسلم الجزائري والشمال إفريقي الأمر الذي تطلب تعريف الأمة الجزائرية المكونة من عدة انتماءات (إسلامية عربية بربرية) في إطار جغرافي شمال إفريقي أو جزائري ثم أتت الحداثة لتضيف التضامن ضد الاستعمار والبعد الأفرو – أسيوي والوحدة الإفريقية والتوجه نحو العالم الثالث .

ويرى بأن الشعب الجزائري شعب فقير وجاهل لكنه فاضل ووفي لشخصيته رافض للذوبان في الشخصية الفرنسية، فالوطنية الجزائرية نشأت في بيئة شعبوية ثورية في حين أن النخبة الفرنكوفونية فئة اجتماعية ذات امتياز أنشأتها السلطة الفرنسية لتقوم بدور الوساطة بينها وبين الأهالي بغرض الهيمنة الفرنسية في حين اعتبر نوع آخر من الفرنسيين بأن الفئة المثقفة بالفرنسية فئة أشد عداء لفرنسا تهدف إلى إحياء النزعة الوطنية المسلمة وما النداء الذي وجهه (إ.ع. ط .م. ج) في 19ماي 1996 للالتحاق بالجبال كواجب نحو الأمة والوطن ويشير في الأخير إلى خصوصية الاستعمار

الفرنسي في الجزائر من حيث القساوة وتفكيك المجتمع الأهلي وتدمير النخب التقليدية والاستيطان وإلحاق الجزائر بفرنسا كما كان الخطأ جسيما في محاولة تسليط النخبة على العامة وفك ارتباطها ودفعها إلى اختيار المواطنة الفرنسية بصفة فردية والتي كان مآلها الفشل مثلما كان الفشل في محاولة ادماج المجتمع المسلم بصورة جماعية في الأمة الفرنسية في مشروع "جاك سوستال" وذلك كله لما أبداه الشعب الجزائري من مقاومة في إفشال سياسة الإدماج ومحاولة إلحاق الجزائر بفرنسا أرضا وشعبا.

الهوامش

(1)-أنظر ص-ص. 21-22.

(2)-الإقدام رقم 33. 20نوفمبر .1919.

(3)- Ferhat Abbas op.cit p.31

(4)- المؤلف ص 111

(5)-Bruno Etienne أوروبيو الجزائر و الاستقلال الجزائري منشورات المركز الوطني للبحث العلمي 1968 ص 27-89 وكذلك Hubert courdon: حول سياسة الادماج في المجلة الجزائرية للعلوم الاقتصادية و السياسية م 11 أول مارس 1974من 33-74

(6)- المجاهد (11) 1957/11/1

(7)- مؤتمر (ا.ع.ط.م.ج) ص 27

(8)- المؤلف ص 389

(9)- Malek Haddad : les zéros tournent en rond paris Maspero, 1962.129

(10)- benhabyles (chérif) : l'Algérie française vue par un indigène .Alger .1914.p59

(11)- المؤلف ص 514

(12)-المؤلف ص 519